

بناء الإتجاهات في علوم الإعلام والإتصال البنى المعرفية النظرية والإتصالية المفسرة

Building Trends in information and communication sciences The Theoretical and communicative structure

فيصل فرحي¹، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية
Faycel Farhi, University of King Khaled, Saudi Arabia
prfarhi@gmail.com

تاريخ النشر: 2019/03/31

تاريخ القبول: 2019/03/01

تاريخ الإرسال: 2019/01/16

ملخص

يعتبر الإتجاه أحد المفاهيم الأولى التي تناولها علم النفس الإجتماعي، وذلك لأهميته وإنعكاساته وكذا إرتباطه بالعديد من المفاهيم الأخرى، وكذا مجالات الدراسات الإجتماعية والإنسانية المختلفة ومنها الإعلامية الإتصالية، حيث إنتقل المفهوم للدراسة والتناول حديثا في علوم الإعلام والإتصال بعد الإنتشار الواسع لوسائل الإعلام والإتصال وتزايد تأثيراتها النفسية والاجتماعية على الفرد والمجتمع، مما حفز الدارسين في هذا الحقل العلمي لمحاولة دراسة فهم علاقة بناء الاتجاه والسلوك الإعلامي الاتصالي.
الكلمات المفتاحية: الاتجاه ، السلوك الإعلامي الاتصالي، المعرفة ، الإدراك

Abstract

The trend is one of the first concepts addressed by social psychology, because of its importance and its implications, as well as its connection with many other concepts, as well as the fields of social and human studies, including the communicative media. The concept was moved to study and deal with the media and communication sciences after the spread of media and communication, And the social on the individual and the community, which motivated the students in this field to try to study the scientific understanding of the relationship building trend and communicative media behavior.

Keywords: Direction, communicative behavior, knowledge, perception

¹ المؤلف الرئيسي: فيصل فرحي، أستاذ مشارك، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية.

مقدمة

يحتل موضوع الاتجاه أهمية خاصة في الدراسات الاجتماعية عامة وفي علم النفس الاجتماعي تحديداً، إذ أن عملية فهمه وإدراكه في إطار هذين البعدين النفسي والاجتماعي يجعل من السهل التعرف على سلوك الأفراد والجماعات والتنبؤ بما سيحدث والتحكم فيه وضبطه، ولهذا نجد الكثير من المؤسسات الرسمية وغير الرسمية تستنجد بهذا النوع من الدراسات لمعرفة الاتجاهات نحو مختلف القضايا، ومن ثم التنبؤ بالأفعال والأقوال التي يمكن أن تتبعها.

وإجمالاً، فالتنبؤ بسلوك الإنسان ومحاولة ضبطه يعد هدفاً هاماً لكل مكونات المجتمع، فالتربويون وقادة الرأي والمصلحون السياسيون، ورجال الأعمال وغيرهم، يهتمون بمعرفة كيفية تنمية الاتجاهات الجديدة أو بكيفية تقوية أو إضعاف الاتجاهات القائمة، حيث أنه وفي الجانب السياسي على سبيل المثال، عكفت الكثير من الحكومات وأنظمة الحكم على دراسة اتجاهات شعوبها، أملاً في تقدير درجة التأييد أو المعارضة لها ولشاريعها، كما تسعى الأحزاب ومختلف المؤسسات السياسية خاصة في الدول الديمقراطية إلى معرفة اتجاهات المنتخبين وميولاتهم قبل المواعيد الانتخابية، لبناء مواقف سياسية أو تغيير مواقف سابقة لتتناسب مع ما ذهبت إليه مجمل اتجاهات المنتخبين.

وينسحب هذا الأمر على باقي المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، فحتى التجار والمنتجون والصناعيون يلجؤون إلى مثل هذه الدراسات لمعرفة اتجاهات المستهلكين وميولاتهم في عملية التبضع والشراء، وهذا ما يمكنهم فيما بعد من تسويق منتوجهم وفقاً لهذه الاتجاهات والرغبات.

على المستوى الإعلامي الإصصالي أخذت الدراسات التي تهتم بموضوع الاتجاه حيزاً معتبراً بداية من منتصف القرن الماضي، وخاصة بعد الإنتشار الواسع لوسائل الإعلام والإتصال، وتزايد تأثيراتها النفسية والاجتماعية، على إعتبار العلاقة الوطيدة التي نشأت بين الفرد ومحيطه الاجتماعي بهذه الوسائل خاصة في ظل التطور التكنولوجي المذهل الذي عرفته في هذه الفترة تحديداً، والذي مكّنها من أن تكاد تكون الناقل الأساسي للمعلومة وأحد أهم العوامل المؤثرة في بناء الأفكار وتكوين الاتجاهات النفسية والاجتماعية على حد سواء، التي وبقدر ما تعتبر نواتج للتنشئة الاجتماعية بالإضافة إلى نواتج أخرى طبعاً، هي أيضاً نتاج ما تفرزه هذه الوسائل من رسائل ومضامين.

ومن هذا المنطلق يعد توضيح المفهوم في بيئته الأصلية أكثر من ضرورة، ليسهل بعد ذلك وضعه في البيئة الإعلامية الإصصالية التي تتكتسي نوعاً من الخصوصية، حتى وإن كانت عملية تحليل المفهوم وتفكيكه لن تتعدى ما يتطلبه البحث، على إعتبار أن المفهوم والدلالات المرتبطة به تقتضي بحثاً مستقلاً بحد ذاته، وطبعاً لا يتسع مقام البحث لتناوله بالتحليل المستفيض.

1- البنى المعرفية والنظرية المفسرة للاتجاهات وآليات تغييرها

1.1- الاتجاهات: الطبيعة والتكوين لا يلتقي الباحثون في الحقل النفسي الاجتماعي حول دلالة واحدة

للمفهوم، يشتركون فقط حول دلالات عامة تشكل خيط مشترك بينهم جميعاً، يصل مداه إلى إعتبار الاتجاه

حالة ذهنية تسبق القيام بالفعل، تتشكل وتتنظم عبر خبرات وتجارب سابقة، تؤثر بشكل مباشر وديناميكي على التصرفات والأفعال المرتبطة بها¹.

ويمكن حصر هذه الاختلافات الجزئية في ثلاث اتجاهات عامة، يحاول الاتجاه الأول التركيز على ما يحمل هذا المفهوم من استعدادات للاستجابة إيجاباً أو سلباً تجاه موضوعات أو مواقف أو أشياء معينة، في حين يذهب الاتجاه الثاني إلى التركيز على الجوانب الشعورية المرتبطة بموضوع الاتجاه وغالباً ما يكونون من أصحاب الاتجاه الإدراكي العقلي، ويقف أصحاب الاتجاه الثالث على مسافة متباعدة من الاتجاهين الأولين، بحيث يحاولون التركيز على موضوع الاتجاه في حد ذاته، دون النظر إلى العناصر المرتبطة به.

ويرجع الفضل في إعطاء العناصر الأولى لمفهوم الاتجاه وتوجيه البحوث وتنمية التصورات النظرية في هذا المجال إلى ألبورت G.W Allport الذي نظر إليه على اعتبار أنه " حالة من الاستعداد أو التأهب العصبي النفسي، تنتظم من خلاله خبرة الشخص وتكون ذات تأثير توجيهي أو دينامي على إستجابة الفرد لجميع الموضوعات والمواقف التي تستثير هذه الإستجابة"²، وعلى هذا، فهو يميز بين الاتجاه وغيره من الظواهر كممثل الحاجات والعادات إنطلاقاً من أربعة شروط وهي³:

- أن الخبرات الفردية حول موضوع معين تتكامل وتتجمع مع بعضها مكونة إتجاها نحو هذا الموضوع.
- يمر الإتجاه بعملية تمايز نتيجة للخبرات المختلفة التي يتعرض لها صاحبه.
- الإتجاهات قد تتكون وتكتسب نتيجة لخبرة واحدة قوية.
- أن تقليد الوالدين والأصدقاء والأفراد الآخرين الذين يحوزون إعجاب الفرد بصفة عامة، يكون مصدراً لإتجاهات جاهزة بالنسبة للفرد.

ويتضح أن هناك مقاربتي في تحديد مفهوم الاتجاه، الأولى تعتمد على فكرة ان الإتجاه هو تشكيل لثلاثة مفاهيم، المفهوم الأول يرتبط بالأحاسيس كالحب والكره والرغبة وعدم الرغبة، المفهوم الثاني يرتبط بالمعتقدات وما تتضمنه من آراء وأفكار، أما الثالث فيتعلق بالميل القبلي للسلوك⁴، في حين أن المقاربة الثانية فهي تهتم بموضوع الأحاسيس والمشاعر وتعتبر الإتجاه على أنه مجمل المشاعر والأحاسيس سواء الإيجابية أو السلبية تجاه أشخاص أو مواضيع أو أفعال⁵.

يشارك هذا التوجه الكثير من الدارسين والمهتمين بهذا المفهوم، إذ نجد كل من هاري أبشو Upshaw H. و هولتزمان Holtzman لا يخرجون في تعريفاتهم عن أن يكون موقف أو استعداد تجاه أفكار وقضايا أو أشخاص وجماعات أو مؤسسات ومنظمات...إلخ، يتشكل من الخبرات والتجارب التي يمر بها الفرد والمعارف التي يكتسبها، والتي تولد بدورها لديه ذلك الشعور الذي يحمله على العمل والتصرف حيالها.

وعلى العموم فكل هذه التعريفات الحديثة وغيرها تتفق حول أن الإتجاه كمفهوم لا يمكن النظر إليه على أنه كيان مستقل بذاته، بل يجب إعتباره بناء يرتبط خلاله السلوك الظاهري للفرد ليس بقوى غامضة أو مجموعة من التهيؤات النفسية والعصبية وإنما بمواقف معروفة، هذا الترابط الذي يجعله عبارة عن تنظيم ثابت لمكونات ثلاث: المكون المعرفي و المكون الوجداني والمكون النزوعي أو السلوكي.

ويتشكل المكون المعرفي من الإدراكات والأفكار والحجج والمعتقدات التي يحملها ويتقبلها ويتبناها الفرد، والمتعلقة بملاءمة أو عدم ملاءمة طرق الإستجابة إلى الشيء، يضاف إليها المعتقدات التقويمية المتعلقة بالشيء محل التقويم، والتي تتضمن الوصف بالأفضلية أو بعدم الأفضلية، بالرغبة أو بعدم الرغبة، بالجودة أو بالرداءة، بالحسن أو بالقبح، بالخير أو بالشر ونحو ذلك⁶، في حين يشير المكون الوجداني أو الإنفعالي إلى مجمل الإنفعالات والشحن العاطفية التي تولد الإثارة والدافعية وتدفع نحو الشعور بالثقة والإطمئنان أو تأثير الخوف والقلق، وهذه كلها مشاعر وتعبيرات إنفعالية تعطي الإتجاه طابع الإصرار والقوة والإثارة⁷، ولا يعني بالضرورة وجود إتجاهات غير ملائمة تجاه موضوع ما على أن المشاعر متوافقة، فقد نجد مشاعر تعبر عن الخوف والأخرى تعبر عن الكره، كما يتضمن المكون النزوعي أو السلوكي كل أنواع التهيؤ السلوكي المرتبطة بالإتجاه، ففي حالة الإتجاه الإيجابي يكون الفرد مستعداً لأن يؤيد أو يعزز أو يكافئ أو يساعد موضوع الإتجاه، وفي حالة الإتجاه السلبي يكون مستعد لإيلاء أو عقاب أو تحطيم موضوع الإتجاه⁸، متأثراً في ذلك بضوابط التنشئة الاجتماعية وبالضغوط الاجتماعية والإقتصادية المختلفة.

ولا يجب الاعتقاد أو النظر إلى هذه المكونات الثلاث على أنها في نفس المستوى من التكافؤ والتعقيد خلال كل عمليات الترابط، فقد تختلف مثلاً مكونات الإتجاه وتتمايز باختلاف درجة إنعزال أو إرتباط المعارف ببعضها البعض، أو انفصال معارف كلية عن معارف فرعية، وقد يكون المكون المعرفي لإتجاه ما على درجة عالية من التفضيل، بينما يكون المكون الشعوري لنفس الإتجاه بدرجة متوسطة، ويكون المحتوى النزوعي بدرجة منخفضة، وبالتالي فمن النادر أن يكشف الفرد ذاته عن درجة عالية من التكافؤ والترابط بين مختلف مكونات الإتجاهات التي تسمح لنا بالحكم عليه بأنه يملك فكراً واحداً أو فلسفة متسقة، ولعل من الصعب إفتراض أن لكل فرد تجمع إتجاهي متجانس في كل ميدان من ميادين الحياة الإنسانية.

عدم التكافؤ والترابط المستقر لهذه المكونات الثلاث جعل من عملية تغير الإتجاه وعدم إستقراره أو ثباته أمراً واقعاً ومحل إهتمام الدراسات البحثية الإمبريقية، التي لم تتناوله إلا في القرن العشرين، وفقاً لرؤى مختلفة شكلت تيارات بحثية أخذت تتشكل شيئاً فشيئاً حتى إنتهت إلى ما يعرف حديثاً بالمدارس النظرية.

2.1- المقاربات النظرية في تشكيل الإتجاه

غالباً ما تؤدي الحركية والدينامية التي تعيشها المجتمعات وخاصة منها المتطورة تكنولوجياً إلى عمليات تغيير داخلها قد تصل أحياناً إلى أن تكون جوهرية وعميقة، وقد لا ترقى أحياناً أخرى إلى هذا المستوى وتظل تحتفظ بشكلها العام مع بعض التجديد البسيط، بحيث تفرض عملية التغير المستمر هذه عمليات تغيير موازية للأفراد، سعياً منهم لمجارات التطورات الحاصلة ومواكبة ما يحدث داخل مجتمعاتهم، مما يجعلهم أمام حركية مستمرة لتجديد إتجاهاتهم أو تعديلها حول مختلف ما يطرحه المجتمع من تطورات، بشكل يجعلها أحياناً ثابتة ومتسقة معها وأحياناً أخرى مقاومة ورافضة لشكل التغير وحتي جوهره.

ولحساسية عملية بناء الإتجاهات وتأثيراتها المباشرة على صناعة القرار بالنسبة للمؤسسات الاجتماعية والسياسية والإقتصادية والثقافية وعلى الدولة إجمالاً، فإن عملية دراستها ووضع الميكانيزمات العلمية لقياسها كانت محل إهتمام المدارس العلمية المختلفة، التي إستندت طبعاً إلى كم معتبر من البحوث

الإمبريقية، حيث حاول كل منها التركيز على جوانب معينة ووظائف محدودة لخدمة نواحي علمية بعينها ومجالات محددة، بحيث نجد منها مثلاً من ركز على العوامل التي تساعد على تغييرها، والتي انقسمت في مجملها بين عوامل تجعل من التغيير أمراً سهلاً وأخرى تجعل منه أمراً صعباً، كما ذهبت بعض الدراسات إلى تناول مسألة أساليب هذا التغيير.

وقد شكلت مجمل هذه الدراسات بمختلف تنوعاتها المعرفية البناء النظري الذي إرتكزت عليه المدارس النظرية التي تناولت الإتجاهات، منقسمة على نفسها في المجمل إلى مدرستين، المدرسة الهوفلاندية **The Hovlanders** نسبة إلى كارل هوفلاندر، أول من أجرى تجارب علمية منتظمة في مجال الإقناع خلال الحرب العالمية الثانية، ليتبعها بعد ذلك بتجارب في جامعة **Yale** أكثر تحليلاً وعمقا، وفي الجهة المقابلة نجد مدرسة **The Festingerians** نسبة إلى ليون فيستنجر صاحب نظرية التنافر المعرفي التي إتخذت لنفسها إطاراً بحثياً مختلفاً ومميزاً.

هذه الإنقسامات في التوجهات البحثية يرجعه الباحثون أساساً إلى تنوع المنطلقات والأصول والمشارب التي إنبثقت منها، فبعضها إنبثق عن أصول نفسية إجتماعية، وبعضها إنطلق من أصول نفسية معرفية، هذه الأخيرة التي سيطرت على الإتجاهات البحثية في هذا المجال خاصة منذ ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، بحيث إنتقل الإهتمام البحثي من دراسة تأثير المتغيرات على إتجاهات الجمهور إلى تناول العمليات المعرفية الشاملة وبالتحديد عمليات معالجة المعلومات، وإن إختلف هذا التناول بين طبيعة العمليات المعرفية، والوصف الكيفي للميكانيزمات والكيفيات التي يعالج بها المتلقون ما يتلقونه من معارف أثناء تعرضهم لمختلف الرسائل.

1.2.1-1- الإتجاهات العامة

يلمس المتمعن في مجمل هذه المقاربات النظرية التي سيأتي الباحث على تناولها، إشتراكها في وجود عوامل معرفية وسيطية متظمنة داخلها، بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر، مما يتيح إمكانية مناقشتها وتحليلها في ضوء المنظور المعرفي، على الرغم طبعاً من وجود إختلافات تتركز أساساً في مجال الإهتمام، والتي نعتقد أنها لا تؤثر على البناء الكلي لدراستها.

- النظرية البنائية الوظيفية:

ركزت البنائية الوظيفية على إيجاد روابط بين وظائف الإتجاهات والعوامل الأساسية المكونة لها و طرق وكيفيات تغييرها، التي نعتقد أنها يجب أن تنسجم مع طبيعة المجتمع وواقعه وظروفه الإقتصادية والسياسية والإجتماعية وغير ذلك من المجالات، حتى لا تتراكم مؤثرات عكسية تضرب إنسجام المجتمع وبناءه، وأشترطت لحدوث هذا الإنسجام وجود إتساق بين وظائف الإتجاهات والتطورات التي يعرفها المجتمع من حين إلى حين، وبينها وبين ثقافة هذا المجتمع تحديداً ومدى حاجته إليها.

وتحاول النظرية الوظيفية تسليط الضوء على كل وظيفة بمعزل عن الوظائف الأخرى ومن ثم مقارنتها ببعضها البعض كشكل من أشكال دراستها في إطار الوظيفة الإجتماعية، فمثلاً وبخصوص الوظائف النفعية

للإتجاهات فهي تعتبرها بمثابة توجهات لسلوك الأفراد ومساعد أساسي في تحقيق أهدافهم، أما الوظائف المعرفية فهي في نظرها طريق لتحقيق الذات⁹.

في المقابل تسعى النظرية أيضا إلى تحليل وظائف الإتجاهات الإجتماعية من منظور التكامل والترابط وليس المنظور المقارن وفقط، على اعتبار أن كل وظيفة من وظائف الإتجاهات تكمل الأخرى وتؤثر فيها وتتأثر بها، وبالتالي لا يمكن الإعتماد على وظيفة معينة دون الأخرى، خاصة وأن عملية التوازن للفرد والمجتمع تعتمد أساسا على وجود ترابط بين مختلف هذه الوظائف، وأنها تشكل دافعا رئيسيا يعطي إتجاها لإدراكاته.

- النظرية النقدية:

تناول الفكر النقدي الإتجاهات الإجتماعية بالدراسة من خلال التركيز على الظروف الإجتماعية التي تمر بها المجتمعات وما يحيط بها، وكذا العلاقات بين البناءات الطبقية داخل هذه المجتمعات نفسها، وحاول إنطلاقا من هذه الإعتبارات الفكرية والفلسفية ربط الظروف المشار إليها بالصراعات بين أفراد المجتمع وتأثير كل هذا على تشكل الإتجاهات الإجتماعية وتبلورها.

وعلى هذا، أشار كارل ماركس إلى وجود تباينات شديدة في الإتجاهات داخل المجتمعات الشيوعية التي تختلف ما بين طبقتين البروليتاريا و البرجوازية، وداخل كل طبقة في حد ذاتها ولو بتمظهر مختلف وحسب طبيعة وتشكيلة كل طبقة، وهي تباينات مختلفة ومتنوعة منها مثلا ما يتعلق بمستوى الوعي الموجود عند كل طبقة، والذي ينعكس تلقائيا على مستوى وطرائق تغير هذه الإتجاهات¹⁰.

ولم يحلل كارل ماركس الإتجاهات بالنظر إلى المستوى الطبقي أو الوعي الطبقي وفقط، بل ربطها أيضا بعلاقات الإنتاج وملكية وسائل الإنتاج، التي تبدو أكثر وضوحا عند الطبقة البرجوازية عليه عند طبقة العمال، وما ينجم عن ذلك من صراع يؤثر مباشرة على بناء الإتجاهات عند كل قطب¹¹.

فكرة السيطرة والصراع وتأثيراتها في تشكيل الإتجاهات بدت واضحة في أفكار هابرماس الذي حاول من جهته وعبر رؤية نقدية دراسة العلاقة بين وسائل الإعلام والإتصال والمؤسسات البرجوازية المهيمنة الرسمية منها وغير الرسمية، التي تسعى لفرض أجندتها وخدمة أغراضها وصناعة رأي عام يخدم برامجها ويدعم توجهاتها، وهو ما يعد سببا مباشرا في نظره لتنامي إغتراب الوعي الجماعي الذي يؤثر بدوره على طبيعة الإتجاهات وطرق تغييرها. ولوضع هذه الفكرة في سياقها التاريخي والثقافي حاول هابرماس أن يجد روابط بين مصادر التطور التاريخي والعلاقة السلبية والإيجابية بنوعية الإتجاهات في المجتمع، ومن ثم ربط هذه العلاقة بوسائل الإعلام والإتصال، والمسألة الثقافية إجمالا.

- نظرية التعلم:

يرى أنصار هذه النظرية أن عملية التعلم تعتبر إحدى المكونات الرئيسية في بناء الإتجاهات، فهي لديهم أي الإتجاهات كمثال العادات والتقاليد والمعتقدات، على اعتبار أن هذه الأخيرة يمكن إكتسابها من خلال عملية التعلم. ويرافع عن هذا التصور العلمي الباحث الإجتماعي النفسي كارل هوفلاند C.Hovland الذي يؤكد على أن الإتجاهات يمكن تعلمها وإكتسابها، مبررا ذلك بتعلم الطفل لإتجاهات الآباء وإتجاهات من حوله، ومؤكدا على أن العمليات الأساسية التي تحدث في التعلم يمكن تطبيقها على الإتجاهات وعلى طرق

تغييرها. ويدعم هذا الطرح جملة من الباحثين في هذا الموضوع الذين يعتبرون هم أيضا أن الفرد يستطيع إكتساب المعلومات والتعلم بالإعتماد على عملية التقليد خاصة في الصغر أين تكون هذه العملية في أوجها ولإرتباطها بعملية التنشئة الإجتماعية.

وتفترض نظرية التعلم أن عمليات التعلم هي المسئولة عن تغيير الإتجاه، نظرا لأنه يعبر-أي الإتجاه- عن إستجابات غير مرئية يتم تعلمها وتغييرها، إعتقادا على مبادئ الإرتباط الشرطي الكلاسيكي الوظيفي وبالتحديد مبدأ الإستجابة الشرطية، وهذا ما يفسر عمليات الربط التي يتم تعلمها بين خصائص إيجابية او سلبية وموضوع ما أو قضية معينة، وينتج عنها التغيير في الإتجاهات، ويوضح أيضا طبيعة التطور والتغير التي تحدث في الإتجاه من دون إرادة ورغبة أصحابها¹².

- نظريات الإتساق المعرفي

يعتقد أنصار المنحنى المعرفي أن الناس يبحثون عن التوازن أو التناغم أو الإتساق في إتجاهاتهم، بما يتناسب مع البناء المعرفي الموجود لديهم، من خلال عمليات توجيه السلوك، بحثا عن التماسك والترابط، وعلى هذا المنطلق ظهرت نظريات متفرعة تستند إلى نفس الخلفية الفلسفية والنظرية وهي:

• نظرية الإتزان:

يرى هايدر **Heider** (1946) أحد مؤسسي هذه النظرية أن هناك حركة دائمة نحو التوازن ونزوع مستمر للإبتعاد عن التغيير الذي يخلق لدى الأفراد نوعا من الضغط النفسي أو العاطفي، هذه النزعة تسعى لفصل الإتجاهات التي تتعارض أو تتشابه مع بعضها البعض لتحقيق التوازن¹³. ويعني هايدر بحالة الإتزان تلك، هي تلائم الأشياء مع بعضها البعض بإنسجام وليس بضغط يؤدي إلى نقص أو فقدان التوازن، ويخلق شعور بالضيق أو التوتر، ولذلك نجده فصل بين ثلاثة أنماط من العناصر، الشخص الذي تحدث له عمليات إتزان الخبرات أو التوازن الظاهرياتي، الآخرون الذين يدركهم، الأحداث أو الأفكار أو الأشياء التي يدركها. وحول فكرة تجاذب الأضداد يشير هايدر إلى أنها أي الأضداد ليس بمقدورها أن تتجاذب دائما، لكن إذا تجاذبت فذلك يرجع بالأساس إلى علاقة التكامل التي تسمح بإدراك أن ثمة هدفا أو غرضا يشتركان فيه، كما أن تكوين مشاعر موجبة تجاه قضية ما قد تكون ممكنة فقط إذا كانت هوة الخلاف في الإتجاهات ليست كبيرة جدا، وهو إجراء مهم يحقق بمقتضاه الإتساق المعرفي¹⁴.

وقد أكدت مجموعة من الدراسات صحة ما جاء به هايدر حول الإتجاهات المتوازنة، ولعل الدراسة التي قامت بها جوليان موريسيت **Julian Morissette** (1958) تعتبر الأهم في هذا الشأن، حيث قامت هذه الأخيرة بإختبار بعض نتائج نظرية هايدر، للتعرف على إمكانية تطبيق نظرية التوازن في تكوين الإتجاهات، وبالفعل فقد توصلت إلى إثبات أن الناس يستخدمون معلوماتهم ليكونوا إتجاهات نحو الأشياء والأشخاص بحيث تكون متناسقة مع الإتجاهات السابقة المرتبطة بها، كما أن الإتجاهات المعرفية للإتجاهات تتطابق مع الحقائق المتعلقة بموضوعات تلك الإتجاهات، وإذا لم يتحقق ذلك فإنه يتعذر على الفرد التعامل بنجاح مع المشكلات المتعددة التي يواجهها كعضو في مجتمع معقد¹⁵.

• نظرية الإتساق المعرفي الوجداني:

بنيت أفكار هذه النظرية من خلال محاولة وضع إطار تطبيقي للمشكلات التي طرحتها نظرية الإتزان وخاصة في بناء الإتجاهات وتغييرها، وعلى هذا الأساس أشار روزنبرج **Rosenberg** (1956-1960) الذي يعد من أهم رواد هذه النظرية إلى فكرة أن الإنسان يسعى من خلال عملية التقويم لإيجاد نوع من الإتساق المعرفي للإتجاهات، بشكل تصبح متلائمة ومتفقة مع أفكاره ومشاعره، معتبرا أن التغييرات المعرفية يمكن أن تنشأ نتيجة للتغيير في الوجدان إزاء موضوع الإتجاه.

ويتصور روزنبرج بناء الإتجاه باعتباره نسقا متوازنا من البناء السيكولوجي الذي يتشكل من مجموعة من العلاقات العاطفية بين المكونات، تؤدي هذه العلاقات إلى تغيير في أحد المكونات نتيجة تغير في مكون ثان، ويقوم النسق أو الإتجاه بالمحافظة على الإتساق بين المكونات المترابطة لكي لا يحدث خلل، وفي حالة حدوثه يظهر نشاط يعمل على إعادة تنظيم هذه المكونات وإعادة الإتجاه للمحافظة على ثباته وتوازنه من جديد.

• نظرية التنافر المعرفي:

تقوم فكرة هذه النظرية على أن العناصر المعرفية التي يحملها الفرد عن ذاته وعن محيطه الذي يعيش فيه تصل أحيانا إلى درجة التنافر فيما بينها، بحيث تخلق شكل من عدم الإتساق وعدم التجانس الداخلي، مما يستدعي منه السعي للتخلص من هذا التنافر الوجداني وإيجاد نوع من التوافق عبر تغيير أحد هذه العناصر المتنافرة لتصبح متسقة مع مثيلتها أو تغييرهما الإثنين معا. والتنافر من المنظور المعرفي يعتبر حالة سلبية من حالات الدوافع التي تحدث عندما تلتقي معرفتان غير متوافقتان، مما يجعل الأفراد يسعون للتخلص منه وإيجاد التوافق المناسب.

ويصاغ ليون فستنجر **Festinger** (1957) على هذا الأساس نظريته في التنافر المعرفي معتمدا على أمرين: أهمية العناصر المعرفية والتناسب بين العناصر المتنافرة، بحيث كلما زادت أهمية العناصر وزادت نسبة العناصر المتنافرة، زاد التنافر المعرفي لدى الشخص.

ويرى فستنجر أنه وعلى الرغم من أن الفرد غالبا ما يعمل على تخفيف حدة التنافر المعرفي عبر الطرق الثلاث التالية: تغيير أحد العناصر المعرفية السلوكية- تغيير أحد العناصر المعرفية البيئية- زيادة عناصر معرفية جديدة، إلا أنه قد يجد نفسه أحيانا خاضعا لمواقف ضاغطة جراء الضغط المجبر من التهديد بالعقاب أو الوعد بالمكافأة، ترغمه على سلوك مسالك لا تتسق مع إتجاهاته، أو تتنافر معها نهائيا¹⁶.

- النظرية الإدراكية:

لا تقف النظرية الإدراكية في تفسير تغيير إتجاه الفرد أو تكوينه عند شرط التلائم الذاتي مع المتطلبات البيئية والمتغيرات المحيطة به، ولكنها تشترط حدوث تغيير كلي في عملية إدراك هذا الفرد لهذه المتطلبات وملامتها فيما بعد مع حاجياته، على اعتبار أن طريقة إدراكه للمعنى الذي تحمله الرسائل المختلفة يؤثر على إتجاهه نحو تلك الرسائل وإتجاهه نحو القضايا المرتبطة بها. ويؤكد أصحاب هذه النظرية على وجود نوعين من أنواع التأثير الإدراكي على الإتجاه، الأول وهو التأثير الإنتقائي الإدراكي الذي يركز على تأثيرات ما ينتقيه

الفرد من عالمه الخارجي في تكوين اتجاهاته، والثاني وهو تأثير العوامل المتعلقة بالفرد ذاته على أحكامه الشخصية، أو ما يسمى علمياً بتأثير الإطار المرجعي.

وفي إطار التوسع في تحليل وتفكيك هذا النوع من عمليات التأثير، توصلت الدراسات إلى إثبات أن قبول وإدراك الرسالة يتوقف على مدى إقترابها أو إبتعادها عن الإتجاهات المسبقة والمبدئية التي يحملها الفرد نفسه عن محيطه الداخلي أو الخارجي، حيث تخضع الرسالة عند التقييم بالأساس إلى الإتجاه الداخلي الذي يحمله الفرد نحو القضية المعروضة عليه، فكلما إقتربت الرسالة من منطقة القبول لديه كلما كان مجال تغيير إتجاهه قليلاً أو قد يكون مطابقاً تمام، والعكس صحيح، أي أن إدراك الفرد المتلقي للرسالة يتأثر أولاً بإتجاهه الداخلي نحوها، ومن ثم يقوم بتقييمها على ضوء هذا الإتجاه¹⁷.

1.2.2- المقاربات المعرفية

- الإتجاه من منظور الإستجابة المعرفية

يمكن الرجوع بفكرة الإستجابة المعرفية ودورها في تشكيل الإتجاهات إلى أعمال كل من هوفلاند ولومزدين وشفيلد **Hovland, Lumsdaine and Sheffied (1949)**، أين تم وضع الملامح الأولى لهذه الفكرة إنطلاقاً من توصل هذا الثلاثي إلى إكتشاف أن الأفراد الموضوعون تحت الإختبار يقومون بإستحضار ما يملكون من براهين مضادة للموقف الذي تتبناه الرسالة الإقناعية الموجهة إليهم، وهي النتائج التي جعلتهم يؤكدون أن المتلقين ليسوا سلبيين، بل يملكون القدرة على مقاومة وتفنيد الرسائل التي يتعرضون إليها، وبناء مواقف مضادة لها.

وانطلاقاً من هذه الفكرة المبدئية تم تطوير الدراسات التي إهتمت أكثر فأكثر بالإستجابات المعرفية المتضمنة والمصاحبة لتغير الإتجاه، ووضعت أهم الإفتراضات النظرية التي توضح القواعد المتبعة من طرف الفرد والحجج والبراهين الصادرة عنه عند تلقيه الرسالة، ولعل من أهم هذه الإفتراضات في هذا المجال ما وضعه جرينولد **Greenwald (1968)** الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لمنظور الإستجابة المعرفية، والذي ربط بين المخزون المعرفي للأفراد ومضمون الرسالة التي يتلقونها¹⁸.

خلال السبعينات من القرن الماضي إزداد إستخدام مقاييس الإستجابة المعرفية في التعرف على تأثير مجموعة من المتغيرات المستقلة خاصة على السلوك الإتصالي، وتمت الإشارة إلى دورها كمتغير وسيط، ليتم بعد ذلك إفرادها بنماذج مستقلة تحاول الدمج بين النظريات المختلفة وتقدم تفسيرات لظواهر مختلفة نفسية وإجتماعية.

2- البنى الإتصالية الإعلامية وعلاقتها ببناء الإتجاهات

قد يلاحظ في هذا المبحث وفي سياق تناول طبيعة العلاقة بين هذين المتغيرين، التركيز على البيئات الإتصالية التي تتم من خلالها عملية التلقي، ومبرر هذا، أن منظور الإستجابة المعرفية الذي تم الإعتماد عليه كمقاربة نظرية في هذا البحث يهتم أصحابه بشكل كبير بدراسة العوامل التي تحد من إمكانية صدور إستجابات معرفية عن المتلقين والتي من أهمها على الإطلاق البيئة الإتصالية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن هذا العامل بالأساس هو من بين العوامل التي يعتقد الباحث أن لها إرتباط أساسي ببناء إتجاهات نحو

الإقتدار السياسي للنخبة الجزائرية، وبالتالي وجب إحاطته بنوع من التفضيل ليتم تحليله وتشريحه بما يساعد فيما بعد من فهم أكثر للنتائج المتوصل إليها على المستوى التطبيقي.

2.1- دور وسائل الإعلام

تكتسي وسائل الإعلام من بين ما تكتسيه من ميزات كثيرة فاعليتها وقوة تأثيرها، وهما ميزتان تستخدمان أساسا في بناء الأفكار وتشكيل اتجاهات الأفراد والجماعات نحو القضايا المختلفة، ولما كان مدار تأثير وسائل الإعلام هو الجمهور فقد أصبحت هذه الوسائل الملجأ الأساسي للمؤسسات المختلفة، بغية تحقيق سياساتها المختلفة عبر التأثير في اتجاهاته بما يتماشى وهذه السياسات.

وقد تركزت أهمية وسائل الإعلام في أداء هذا الدور نظرا لتقديمها للمعلومات والحقائق التي تسهم في بناء اتجاهات الأفراد المختلفة، بالإضافة إلى قدرتها على التأثير بالأحداث الهامة وإرتباطها بالواقع الاجتماعي الذي يشكل هو بدوره الوعي الذي تتشكل فيه الكثير من اتجاهات الأفراد، وهو ما أشارت إليه وأكدته بوضوح أبحاث كل هابرماس وكاتز ولازارسفيد في هذا المجال، حيث أوضح هابرماس في دراسته التي أجراها على رجال الشرطة والقادة السياسيون ورجال الأحزاب، الدور الذي يلعبه هؤلاء من خلال هيمنتهم على هذه الوسائل في تغيير اتجاهات الأفراد نحو بعض القضايا الهامة والموضوعات التي تخدم قضايا بعينها تركز هيمنتهم وتنشر سياساتهم وتنظم سلطتهم، وهذا ما أكدته أيضا كاتز 1960 ولا زارسفيد 1955 عبر دراساتهم وأبحاثهم التي تناولت وظائف الإعلام والإتصال¹⁹.

كما ترجع أهمية وسائل الإعلام في تشكيل الاتجاهات وفي تغييرها أيضا، إلى إعتبارها مؤثرا رئيسيا في عملية التنشئة الاجتماعية، فقد أصبحت وبحكم خصائصها المتنوعة ومنها وصولها لجمع كبير من الناس وفي وقت قصير، تحل أحيانا كثيرة محل خبرات الأفراد الشخصية وبديلا ملحوظا عن الإتصال بينهم.

2.2- المتغيرات الإعلامية في بناء الإتجاه

يتوقف مستوى بناء وتغير الإتجاه على مجموعة متغيرات رئيسية تتعلق بالعوامل الموجودة في البيئة الإتصالية التي تتم من خلالها عمليات التلقي، ومن أهمها الوسيلة الإعلامية ذاتها، مصدر المعلومة و الرسالة الإعلامية.

- متغير الوسيلة الإعلامية

لكل وسيلة إعلامية خصائصها ومميزاتها، وهو ما ينعكس على طبيعة جمهورها وطبيعة مضمونها، وعلى هذا، ولتأثير الوسيلة الإعلامية ذاتها على طبيعة الرسالة الإعلامية إهتمت الكثير من الدراسات الإعلامية بالوسيلة ذاتها لأنها تعتبر المحدد في كثير من الأحيان لطبيعة الرسالة الموجهة، فالرسالة الصحفية على سبيل المثال لها مميزاتها التي تمايزها عن الرسالة التلفزيونية والإذاعية ولكل إستثناءاتها، بحيث تخلق بيئة إتصالية تساعد المتلقي على قراءة النص والتدقيق فيه بالسرعة التي يريدها ومراجعة ما سبق قراءته بسهولة، ومن دون أن يمثل كثرتها أو تنوعها عائقا يحول دون صدور الإستجابات المعرفية عن المتلقي²⁰، في حين أن الرسالة في النص التلفزيوني المسموع والمرئي تأتي وسط كم هائل ومتتابع من البرامج والأخبار السريعة التي تحد من قدرتها على تفعيل إستجابات معرفية بالمقارنة مع حجم ما توفره الرسالة الصحفية²¹، وهو ما ينعكس على

مستوى بناء الإتجاه وتغيره، على إعتبار الأهمية القصوى التي يمثلها المضمون الإعلامي في تركيبة المكون المعرفي.

- متغير المصدر

يتوقف قبول الفرد للمعلومة أو رفضه لها بناء على مصدرها، وعلى هذا الأساس يتشكل لدى الأفراد نسق معرفي معين يرتكز إلى إتجاهاتهم المسبقة نحو مصدر المعلومة، الذي يصبح في النهاية الموجه الرئيسي للإتجاه ، ولعل هذا ما توصل إلى إثباته كل من هوفلاند **Hovland** و ويس **1951 Weiss**، اللذان قاما بتجربة قدما فيها عددا من قصاصات الصحف والمجلات بها معلومات حول موضوعات سياسية عسكرية لمجموعة من طلاب في الجامعة الأمريكية، بحيث تم إخبار النصف الأول من المجموعة بأن المعلومات الموجودة على القصاصات هي من كتابة خبراء أمريكيين، في حين أخبر النصف الثاني من المجموعة أن المعلومات هي ترجمات لخبراء روس نشرت فيما قبل في الصحف السوفياتية، وبعد قياس إتجاهات غالبية طلبة النصف الأول تم تبين أنهم موافقون على ما جاء في القصاصات، وبالمقابل لم يوافق غالبية طلبة النصف الثاني على ما جاء فيها، على الرغم من أنهم عادوا بعد أربعة أسابيع ليعلنوا بإتجاهاتهم نحو هذه المعلومات، وكأنهم قد نسوا ما قيل من قبل من أن هذه المعلومات صادرة من مصادر غير موثوقة²².

وقد طرحت مسألة قبول المصدر الإعلامي أو رفضه عددا من المشكلات المنهجية، لعل أهمها وأكثرها تناولا إشكالية الثقة، التي شكلت ولفترة طويلة من الزمن محور العديد من الدراسات لأنها أعتبرت مسألة جوهرية في قبول المعلومة أو رفضها، وهو ما ينعكس مباشرة على المكون المعرفي للمتلقي وبالتالي إتجاهه. ولدراسة هذه الإشكالية المنهجية، تم التركيز على التناقض الذي يحصل أحيانا بين المصادر الإعلامية وبين مدى الثقة التي يشعر بها المتلقون (المستمعون)، وتأثير ذلك على إتجاهاتهم، بحيث صاغ لهذا الغرض كل من فستنجر- أرونسون (1960) و أرونسون- تيريز- كارل سميث (1963) بعض الأفكار النظرية عن التفاعل بين هذه المتغيرات، على أساس أنه كلما ازداد التناقض بين المعلومات الإعلامية وبين خبرات الشخص ومعلوماته الأصلية قلت الثقة وازداد التنافر مع مصدر الرسالة.

وقد تابعت الكثير من الدراسات التي راحت تفصل في هذه المسألة وتحللها من نواحي مختلفة، بغية توضيح طبيعة هذه العلاقة القائمة بين الثقة في مصدر الرسالة الإعلامية والتأثير الذي تتركه هذه الرسالة على إتجاهات الأشخاص، ولعل ما يستدعي الوقوف عنده من دراسات، دراسة هوفلاند- برتزكر (1957) التي توصلت إلى إثبات أنه كلما زاد التناقض بين الإستجابات الوهمية للمبحوثين مع المصدر الإعلامي وبين المواقف المبدئية التي كانوا يحملونها فيما قبل زاد حجم التغيير في الإتجاه نحو هذه المواضيع²³.

- متغير الرسالة الإعلامية

يشكل المحتوى الإعلامي الأساس في البناء المعلوماتي لدى الكثير من الأفراد، والذي يتحول إلى كم معرفي نتيجة لعمليات التراكم والبناء التي تتم على مجطات ومراحل مختلفة من الحياة، وعلى هذا أخذت الدراسات النفسية الإجتماعية التي إهتمت تحديدا بدراسة إتجاهات الأفراد نحو ما يحيط بهم من قضايا

التركيز على تحليل الرسالة الإعلامية في حد ذاتها، على اعتبار العلاقة الترابطية التي وجدت بينها وبين البناء المعرفي للفرد، الذي يعتبر أحد الأقطاب المؤثرة في تشكل الاتجاه وتغييره.

وقد توصلت الدراسة التي أنجزها فستنجر عام 1957 إلى إثبات أن الفرد الذي يتعرض لمحتويات إعلامية معاكسة للمعلومات التي لديه يتولد بداخله تنافر، على عكس الفرد الذي يختار المحتوى الإعلامي الذي يناسبه.

- متغير التعرض

يفترض المهتمون بهذا المتغير أن الأشخاص بطبيعتهم يميلون إلى تقبل كل ما هو مألوف وينفرون من ما هو غير مألوف ومعتاد، وبمجرد تكرار التعرض للأشياء أو الأفراد غير المألوفين يسهل تقبلهم شيئاً فشيئاً ويصبحون أكثر مألوفية وأكثر تفضيلاً²⁴، ولا يميل هؤلاء إلى الآراء التي تقول إن المألوفية والتعود يخلقان الملل، بل على العكس فهم يعتقدون أن المألوفية تخلق الحب، وأن الغياب والبعد يثيران المشاعر السلبية²⁵.

المراجع

- 1- Ghiglione.R , Richard.J-F, Cours de Psychologie : Origines et Bases, DUNOD, 3e Ed Paris, ,1999, P. 230.
- 2- عبد الفتاح محمد دويدار، علم النفس الاجتماعي: أصوله ومبادئه، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1994، ص 153.
- 3- نفس المرجع، ص 154.
- 4 - Eagly, A.H and Chaiken. S, The Psychology of Attitudes, CA and Fort Worth, San Diego, 1993, P.1.
- 5 - Petty, R.E, and Cacioppo, J.T, Attitudes and Persuasion: Classic and Contemporary approaches West-View Press, Colorado, 1996, P.7.
- 6 - Krech.D, Crutchfield.R.S, and Ballachey.E.L, Individual In Society, MC Graw-Hill Book Company, INC, New York, 1962, P.50.
- 7 - Ibid, P.50.
- 8 - Ibid, P.51.
- 9 - Robert Merton, Social Theory and Social Structure, The Free Press, 2 end ED, New York, 1979, P.44.
- 10 - Karl Marks and Frederik Engluas, The Geroman Ideology, London, 1965, PP.31- 37.
- 11 - Ibid, PP.44- 47.
- 12 - Petty, R.E, and Cacioppo, J.T, Op.Cit, P.56.
- 13- Kathleen Kelley Reardon, Persuasion in Practice, SAGE Publications, London 1991, P.46.
- 14- Petty, R.E, and Cacioppo, J.T, Op.Cit, P.126.
- 15 - Krech.D, Crutchfield.R.S, and Ballachey.E.L, Op.Cit, PP. 103-104.
- 16- Festinger.L, and Carlsmith, J.M, Cognitive Consequences of Forced Compliance, Journal of Abnormal and Social Psychology, 3erd ED, 1990, PP.214-231.
- 17 -Richard M.Perloff, The Dynamics of Persuasion, Hillsdale, , Lawrence Erlbaum Associates, New Jersey, 1993, P.200.
- 18 - Ibid, P.13.
- 19- علاء طاهر، مدرسة فرانكفورت من هوركايمر إلى هابرماس، منشورات مركز الإنماء القومي، الطبعة الأولى، لبنان، 2001، ص 99.
- 20 - Richard E.Petty, Thomas M.Ostrom and Timothy C.Brock, Op. Cit, P. 267.
- 21- Ibid, P.275.
- 22- حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، الطبعة الخامسة، القاهرة، 1984، ص 165.
- 23- ت.أ.أنسكو وج.سكوبلر، علم النفس الاجتماعي التجريبي، ترجمة: عبد الحميد صفوت إبراهيم، مطابع جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1993، ص 224.
- 24- شيماء ذو الفقار زغيب، نظريات في تشكيل اتجاهات الرأي العام، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، القاهرة، 2004، ص 58.
- 25- نفس المرجع، ص 59.

